العرب
الخميس 2019/09/19
السنة 42 العدد 11472

«مخلب الفراشة» رحلة عشق لا تكتمل

الشاعر السوري باسم سليمان في سفر شعري لملاحقة أنثى

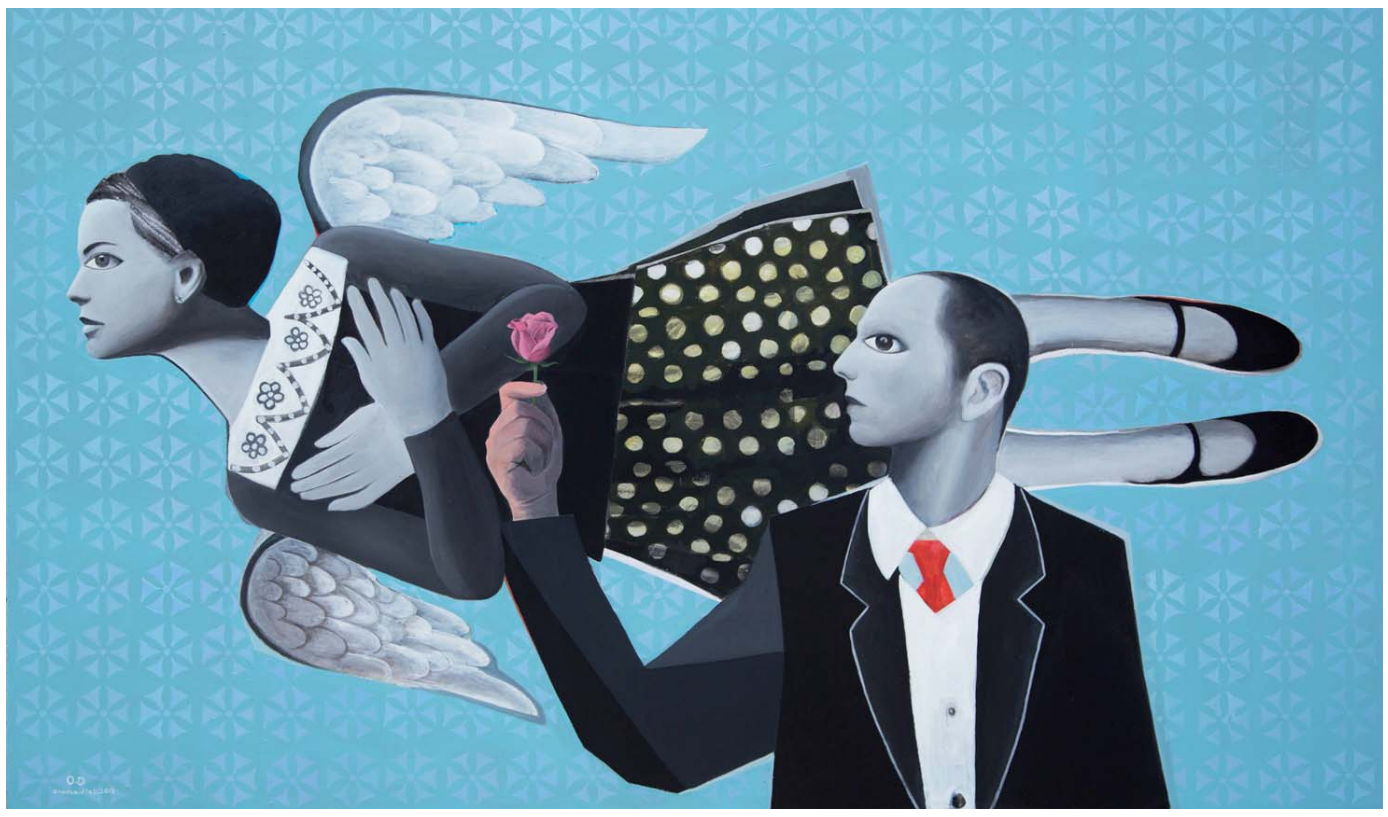

محاولة للحاق بامرأة متخيلة (لوحة للفنان صفوان داحول)

إن لعبة الضمائر في الشعر مختلفة عن الضمائر في غيره من سائر أجناس الكتابة، شأنها شأن الأسماء والدوال التي تحركها الاستعارة. فضمير الأنا الذي يرفعه الشاعر ليس بالضرورة ذاته، بل ليس مفردا، وعلى نفس الشاكلة تكون الضمائر الأخرى. فالشعر خطاب لا يقول أكثر مما يقول، وفي لا قوله تتسع عوالم وتتناسل.

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

صدرت أخيرا في دمشق للشاعر والروائي السوري باسم سليمان عن دار ديلمون الجديدة الطبعة الثانية من ديوان "مخلب الفراشة"، بعد أن كانت المجموعة قد صدرت في طبعة أولى عن دار أوراق في مصر.

> الشاعر يواصل حديثه إلى أنثاه المتغيرة دائما، والتي يقرأ لها ما حولها وهي نائمة أو مبتعدة أو مختبئة

على مدى 161 صفحة تعداد صفحات المجموعة الشعرية، نجد الشاعر باسم سليمان متخفيا خلف ضمير الأنا الذي يخفي بدوره شخوصا كثيرين ورؤى كثيرة، توجه كلها في خطاب إلى أنثى متعددة، حاضرة وغائبة.

عناوين نصوص الكتاب طويلة أشبه بجمل مكتملة أو مقاطع شعرية كاملة، منقسمة في داخلها إلى عناصر، مثلا النص الأول جاء بعنوان "القلق الرّضيْع، أثداء النّساء لا تكفيه"، عنوان أشبه بتصدير نجد داخله مونولوجين ومقطعا موسوما بـ"صمت".

المونولوج الأول يبدأ بتناول الفاليوم المنوم في خطاب إلى أنثى لا تقف حدودها عند امراة بل هي بلاد وأوسع مفاهيميا. ينتهي النص بأن النوم غاب عن الشاعر فيما بقية البلاد منوّمة لتنفتح عيناه في قلق، يقول الشاعر "ازدردَ كلّ النّوم من علبة عينيّ/ وتَرَكَ مقلتيّ بيضاوين كالقلق".

أما المونولوج الثاني فيواصل فيه الشاعر خطابه إلى امراة ، فيه يحلم الشاعر "يحلم بقراصنة لا يشبهون قراصنة جوني ديب/ بل رسوم المانغا اليابانيّة/ وجزيرة تُبحر كسفينة/ إنْ أُرخيتِ القلوعُ على أشجارها/ القلوعُ التي قدّتْ من ستائرك المُسْدلة". يتواصل جو العتمة التي يدخلها الشاعر قلقا ولكنه يقفز فيها إلى الحلم، حلم بالخلاص والتحرر، حلم محفوف بخوف من القراصنة، لكنه رغم ذلك يبحر، رغم أنه جزيرة معزولة، يبحر وهو في مكانه.

وتتواصل العناوين بنفس الطريقة إلى آخر الكتاب نجد مثلا "قلت: عينك قارب أخرق قاعه بدمعة؛ لأنّ امرأة هناك تأخذ البصر غصبا" أو "الحبّ يجري كأرنب والفراق يمشي كسلحفاة؛ هكذا نستمع للقصّة كالأطفال".

ويواصل الشاعر حديثه إلى أنثاه، أنثاه المتغيرة دائما، والتي يقرأ لها ما حولها وهي نائمة أو مبتعدة أو مختبئة أو عالية يقول "أقرأ لكِ:/ في الخريف تسقط الأوراق/ في الخريف تصل الرسائل"، رسال يدونها الشاعر في العراء حيث يرى ويدون ويشهد كيف "تمدّ الرّيح ساقيها كلسان أفعى كياسمينة تلقي بعقب عمرها عن كتف الشرفة التي يدليها شغف عاشقين". إنه العشق الذي يترك الشاعر مثل درويش عاريا حافظا للمكان وللناس وللأحداث، مبشرا بما لا تراه عين نائمة أو منوّمة أو بلا ضوء.

حركات الشاعر ونحن نواصل القراءة ليست بخطى ثابتة، لا هو يتحرك إلى الأمام ولا إلى الخلف، بل هو كالطائر يرتفع وينزل ويدور، يقول "أربي اللعنة طيرا جارحا/ أطعمه سأمي" ويتابع "أرفعه بيدي راية استسالم/ وأرسله كقلب يهفو لعشقه"، إنها القسوة التي يخرج منها العشق قسوة القلق وقسوة التأمل الذي يتحول إلى سأم جارح مفترس، لكنه يستسلم إلى العشق.

نلاحظ انفتاح النصوص على عناصر من التاريخ ومن خارج الشعر، وخاصة في استحضاره للشخصيات، التي يلبسها أحداثا أخرى من خلال التشابيه أو من خلال استحضارها كاملة، نجد الشاعر مثلا يستحضر شخصيات روائية مثل موبي ديك وهو اسم الحوت في رواية هرمن ملفل وريميدوس وهي شخصية في رواية مئة عام من العزلة لغابرييل غارسيا ماركيز.

كما يستحضر الشاعر شخصيات حقيقية مثل الممثل جوني ديب أو المسرحي الإنكليزي شكسبير أو الكاتب الياباني المنتحر يكيو ميشيما أو الرسام الهولاندي الشهير فان غوخ. ينقلها لتكون دوافع أخرى في رحلته في حب لا ندري إلى أين هو متجه، بين اتجاهاته إلى الداخل، داخل الشاعر، وإلى الخارج.

ويصل الشاعر إلى حدود أن "الحبّ يكلّمه كصديق – الآن – من وراء حجاب"، والآن هنا تلعب دورا إيحائيا هاما هو أشبه بالحلول الصوفي الذي يلعبه الشاعر مع قارئه، كما أنها إيحاء بخطوة ما في الزمن، ما يعطي لرحلته بعدا آخر زمانيا وكأنه نقطة ارتكاز في اضطراب الطريق الحلزوني الصاعد والهابط والمتجه إلى أكثر من جهة في آن واحد.

مهرجان أيام فلسطين الثقافية يظهر في لبنان

تشكل الثقافة في فلسطين جزءا لا يتجزأ من هوية الشعب الفلسطيني على مر التاريخ والعصور. حيث قدمت مثقفين وكتابا وشعراء مؤثرين، علاوة على المنتج الفني سواء الموسيقي أو التشكيلي أو المسرحي والسينمائي العريق. لذا يمثل «مهرجان أيام فلسطين الثقافية» فرصة لاكتشاف هذه الثقافة الثرية.

صور (لبنان) – بعد توقفه أربعة أعوام، يعود «مهرجان أيام فلسطين الثقافية» في دورة ثانية من 27 إلى 30 سبتمبر الجاري، وتشترك في تنظيمه إدارة «مسرح إسطنبولي» و«جمعية تيرو للفنون»، بالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية ومؤسسة دروسوس وبلدية صور والاتحاد العام للفنانين الفلسطينيين في لبنان. ويمتد المهرجان على مدى أربعة أيام، يقدم خلالها مجموعة من العروض الفنية على «المسرح الوطني اللبناني» في مدينة صور.

ويهدف المهرجان إلى تظهير الثقافة والتراث الفلسطينيين، عبر تنظيم مجموعة عروض مسرحية، وسينمائية، وموسيقية، إلى جانب ندوات ومعارض ومساحات للفنون التشكيلية، بغية الإسهام في الحفاظ على الهوية الفلسطينية وذاكرتها أيضا.

الشاعر الفلسطيني الراحل سميح القاسم من المحتفى بهم

وقال مؤسس المسرح الوطني اللبناني الممثل والمخرج قاسم إسطنبولي "إن الدورة الثانية من مهرجان أيام فلسطين الثقافية ستوجه تحية إلى شخصيات فنية وأدبية راحلة أسهمت في إبراز الفن الفلسطيني، أمثال الكاتب والأديب سلمان الناطور، والفنانة ريم البنا، والشاعر سميح القاسم، ورسام الكاريكاتير ناجي العلي، والمخرج والمصوّر هاني جوهرية، والتشكيلي كمال بلاطة. وستكون جميع فعاليات المهرجان بالمجان للجمهور".

وكانت النسخة الأولى للمهرجان، قد انطلقت أيضا من مدينة صور عام 2015، وشملت وقتها مجموعة أنشطة فنية ركزت على الأغنيات والمسرحيات الشعبية التراثية، والأزياء الفولكلورية أيضا، ووجهت تحية إلى الفنانين غسان مطر ومحمود سعيد.

يُذكر أنّ «جمعية تيرو للفنون»، تعمل على إعادة فتح المنصّات الثقافية في لبنان، من «سينما الحمرا» في مدينة صور و«سينما ستارز» في مدينة النبطية و«سينما ريفولي» التي تحولت إلى «المسرح الوطني اللبناني»، أول مسرح وسينما مجانية في لبنان، وهي منصة ثقافية حرّة ومستقلة ومجانية، شهدت إقامة مهرجانات مسرحية وسينمائية وموسيقية وكرنفالات وورش تدريبية.

> المهرجان يهدف إلى إبراز الثقافة والتراث الفلسطينيين عبر تنظيم عروض فنية إلى جانب ندوات ومعارض مختلفة

وقد ساهم فريق مسرح إسطنبولي في إحداث تغيير ثقافي وفني، عبر فتح سينمات مقفلة، وإقامة مهرجانات، وإطلاق «باص الفنّ والسلام» للعروض الجوّالة، ما ساهم في تعزيز الثقافة ونشر الفنّ عبر المهرجانات التي أقيمت في «المسرح الوطني اللبناني» منها «مهرجان لبنان المسرحي الدولي» و«مهرجان لبنان السينمائي الدولي للأفلام القصيرة» و«مهرجان شوف لبنان بالسينما الجوالة» و«مهرجان لبنان المسرحي للحكواتي» و«مهرجان لبنان لمونودراما المرأة» و«مهرجان صور الموسيقى الدولي» و«مهرجان لبنان المسرحي للرقص المعاصر».

تحولات الكتابة

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

أحد الأدباء كتب تغريدة أوضح فيها بما يعني من أن شعورا بالأسف يراوده كونه انغمر في كتابة النقد المسرحي شوطا طويلا من عمره، وانشغل بمتابعته قراءة وكتابة ومشاهدات لعروض كثيرة، حتى انتشلته الكتابة الروائية ليكون قريبا من الهاجس الإبداعي الجديد ومن معطيات اجتماعية وسياسية كثيرة، بعدما أخذ منه المسرح سنوات طويلة من دون أن يتقدم به كثيرا. في إشارة إلى أن المسرح تأليفا أو نقدا أو عروضا لم يعد يجتذب القراءة والمشاهدة، وأنّ فنونا أخرى استقطبت القارئ وأضحى التلقي العام يبحث عنها، بقصد الرواية التي استوطنت هذا العصر السردي بكل ما فيها من قوّة فنية وهي تتوغل في الحياة حتى أدق تفاصيلها وتكشف المخفي فيها والمستور والنائي منها، ذلك الذي لا تستطيع الفنون الأدبية الأخرى أن تلتقطه بسهولة.

هذا الاعتراف الشخصي والهاجس الفردي المعلن لهما ما يبررهما واقعيا في الحياة الثقافية التي أفرزت الكثير من المعطيات الأدبية، عندما توارت بعض الفنون ولم تعد تذكر كثيرا في الخطابات الثقافية، كالمسرح، بينما نجم الرواية عالميا هو الآخذ بالصعود والانتشار والكتابة والتجريب؛ ومع محاولات شبابية عربية كثيرة في منتديات جامعية وباجتهادات شخصية لتنمية المواهب المسرحية؛ إلا أنّ بث الروح في المسرح يبدو أمرا عسيرا في الوقت الحاضر، كما لو أن بوصلة المسرح العربي فقدت اتجاهاتها الصحيحة في زخم السرديات الروائية المتدفقة على الصعيد العربي في الأقل. ولم يعد المسرح جاذبا أدبيا كما كان في السابق، وهذه ملاحظة تقريبية في انزواء المتلقي المسرحي وانسحابه إلى فنون أدبية وجمالية أخرى. لا بد للباحثين والمهتمين بالشأن المسرحي من الوقوف على أسبابه الحقيقية ومعالجته؛ فالمسرح نمط سردي حواري له جذر أصيل في التاريخ الأدبي العربي والعالمي.

مثل هذه التحولات في الكتابة من هذا الفن إلى غيره ليست نهائية وحاسمة بطبيعة الحال. وليست علامة ضعيفة يهرب فيها المبدع من نمط كتابة إلى غيره، لكن هنالك ما يستوجب هذا التغيير أحيانا. فالعقل البشري يستوعب هذه المساحة من التداخلات الاجتماعية والسياسية ولا يستوعب غيرها. وهذا النمط التأليفي قادر على الاستجابة من دون غيره من أنماط الكتابة. كالرواية مثلا، لا لأن الرواية هي الأكثر تعبيرا عن إرهاصات الواقع – قد يكون هذا سببا – لكن بذرة الموهبة وجوهرها السري قد ينكشفان ويظهران في ظروف متأخرة تساعد على تنميتهما وإظهارهما حتى لو تأخر الوقت، لذلك نجد بعض الشعراء اتجهوا لكتابة الرواية عندما ضاق الشعر عليهم ولم يعد يستوعب تمظهرات الحياة الجديدة ولا إشكالياتها الكبيرة، وبالمثل نجد روائيين استهوتهم الكتابة الشعرية مع شيوع منافذ الإلكترونيات الجديدة وانتشارها مما ولّد علاقات أدبية وتبادل معرفة نوعيا. أي أنّ هذه الدوائر المفتوحة ساهمت في خلق شعور رومانسي سريع لا يمكن للرواية أن تكون منافسة له بسبب حجمها الطويل.

وبالتالي لا يوجد ما يعيق تبادل الأدوار في الكتابة الأدبية من فن إلى آخر. فالأجناس الأدبية مفتوحة ومشاعة، والمواهب الحقيقة قادرة على أن تتنقل من جنس أدبي إلى آخر. وتعني حتما في ما تعنيه القدرة الأدبية على الكتابة بأكثر من نوع أدبي. وهذه ليست جديدة في الأدبيات العربية ولا العالمية.

أنّ إشارة الأديب المسرحي المتحول إلى جنس الرواية، لا تعني "موت المسرح" لكنها تعني أن المسرح، وخطابه، لم يعد يلبي حاجة الكتابة في ظروف عربية متحولة سياسيا واجتماعيا. وعليه فإن تخلف المسرح عن مواكبة الأحداث والمصائر الجماعية في البلاد العربية أمر حاصل فعلا. وأنّ الجمهور المسرحي غادره إلى أفق آخر أكثر شمولية للحياة، مع أن التجارب المسرحية العربية لا يستهان بها قطعا. ولها تاريخ مجيد لا يمكن إغفاله على كل حال.

> ليس هناك ما يعيق تبادل الأدوار في الكتابة الأدبية من فن إلى آخر، فالأجناس الأدبية مفتوحة ومشاعة

الكتابة بين الفنون الأدبية موضوع لا توجد فيه محاذير كبيرة. لكن هناك من يرى فيه نوعا من تشتت المواهب، وقد يكون هذا صحيحا إلى حد ما، لكنه بالنتيجة مران على الكتابة وجهد فكري خلّاق أن يكتب المرء بأكثر من جنس أدبي، ولا بأس أن تجتمع الموهبة على صنفين أدبيين أو أكثر، وفي أمثلة الأعلام الأدبية العالمية ما يشير إلى أن التنوع في الكتابة للأدباء هو إحدى سمات المعرفة الواسعة والامتلاء الفكري والثقافي. فاليوناني كازانتزاكي قرأناه روائيا كبيرا لكنه شاعر أيضا. وشكسبير المسرحي العملاق شاعر أيضا. الأميركي الألماني تشارلز بوكوفسكي شاعر وروائي وكاتب قصة قصيرة. الهندي طاغور شاعر وروائي ومسرحي. الألماني فونتاني شاعر وروائي. والإسباني ميغيل ديثيربانتس شاعر ومسرحي وروائي.

والأمثلة وفيرة على الكتابة في أكثر من جنس أدبي مما يتعاطاه الأدباء بألمعية أدبية ناجحة وبمرونة لافتة للأنظار. إذ تنطوي هذه المشتركات الكتابية على قدرة ضمنية على تداول الأجناس الأدبية والمهارة فيها لخلق نماذج إبداعية ممكنة، فالثقافة الأدبية تسمح لمثل هذا التنوع الإيجابي بالخروج من نمطية تناول الجنس الواحد إلى أكثر من جنس.

الانتقال من كتابة إلى كتابة ممكن (لوحة للفنان بسام دحدوح)